الخلق محبذ للرذيلة

ومن الشروط المهمة للزواج أن يكون الاثنان على دين واحد ويتكلما بلغة واحدة حتى يسهل التفاهم بينهما وأن ينتميا لحزب واحد اذا كان فى الامة أحزاب حتى لا يعكر صفاء عيشهما مناقشات حادة قد تكون سبباً فى فراقهما

ومتى وجدت الفتاة ضالتها المنشودة أقدمت على اهداء قلبها ثمناً لاخلاص الزوج وحبه لها ومتى تبودل بينهما ذلك الحب الزوجى الشريف كانت حياتهما مثال السعادة والصفاء ؟

زينب محجوب

سارقة الرغيف(١)

نظر الكاتب الفرنساوى الشهير فيكتور هيجو الى القانون العام نظرة الرحمة والشفقة والى أحكام القضاة التقليدية نظرة الاحسان والانسانية ورأى أنه لا يكفى القانون أن يكون عادلا فقط بل ان يكون راحماً أيضاً ولا يكفى القاضى أن يتبع القانون وحده بل أن يتبع معه الشفقة والحنان فوضع كتابه المشهور بعنوان « الاشقياء » فى ستة مجلدات كبيرة بناها على حكاية رجل حسن الاخلاق طيب القلب لم يخلق للشر والعدوان قضت عليه الضرورة القصوى وهى ضرورة الجوع أو ضرورة البقاء التى فطر عليها الانسان أن يسرق رغيفاً من الخبز لاهل منزله وفيهم صغار أطفال يتضورون من الجوع فقبضت عليه الحكومة بهذا الذنب الكبير

(١) من كتاب منتخبات للمرحوم الشيخ أمين الحداد

وحكم عليه القضاة بموجب قانونهم بالاشغال الشاقة الى أمد بعيد . وقد أفرغ هيجو فى هذا الكتاب كل ماحواه عقله الكبير من فلسفة الشقاء وكل ماشعر به فؤاده الكريم من واجب الرحمة والحنان وكل ماسمح به برهانه القاطع وحجته الدامغة من الطعن على القضاء في مثل هذا الظلم الشديد على فقير بائس يسرق رغيفاً لسد الرمق وقوام الحياة دفعته اليه ضرورة العيش وحب البقاء فأقدم عليه مضطراً غير باغ ولا عاد من طبعه السرقة وحب الاذى فحكم عليه القانون القاسى بمثل ما يحكم به على سارق المال الكثير تدفعه اليه يد الطمع وفساد الطبع وحب الاذى والميل الى السرقة والاختلاس .

وأن هنالك جرائم كثيرة يأتيها فاعلها رغبة واختياراً لا تدعوه اليها ضرورة ماسة ولا تدفعه نحوها حاجة شديدة وقد أغفلها القانون أذى للناس ومفسدة للاخلاق وهو لو أنصف لعاقب عليها أشد العقاب ونذكر منها الزنا والفحشاء وهي جريمة خارجة عن آداب الانسانية خارقة لحرمة الدين والشرف مشوهة لوجه الهيئة الاجتماعية يرتكبها صاحبها مختاراً راضياً غير مضطر ولا مكروه وهو قادر أن يصبر عنها أو أن يأتيها من الطريق الذى وضع لها في عرف المدنية والنظام ثم يبيحها له القانون إباحة مطلقة ولا يتعرض لاصحابها بشيء من المؤاخذة والعقاب وينتظر الفقير البائس يؤذيه الجوع وتؤلمه الفاقة وشدة الاعواز فيقدم هائباً وجلا على سرقة رغيف من الخبز تكون فيه حياته التى هى أعز عليه من حياة جميع الناس فيحكم عليه بالاشغال الشاقة والسجن الطويل لانه أنقذ نفساً من الموت وقد دفعته الى انقاذها يد الضرورة والاحتياج وترك

الزانى يسرق أعراض النساء ويمرح فى ميادين الخلاعة واللهو كما شاء مع انه ارتكب جريمة الفساد وأسقط معه نفس فتاة طاهرة الى وهدة الدناءة والعار وهو لم تدفعه الى ذلك ضرورة ماسة ولا حكمت عليه شدة قاضية ولا فعل ذلك الفعل لينقذ نفساً تكاد تهوى من جوعها فى مهواة الآلام والموت

ولقد حدث فى باريز فى الاسبوع الغابر أن امرأة قضت عليها ضرورة الجوع القصوى أن تسرق رغيفاً من حانوت فراق تسد به رمقها فألقى القبض عليها وسيقت الى القضاء وهى تنتظر أن يصيبها من عقاب القانون ما أصاب ذلك الرجل الذى روى هيكو حكايته فى كتابه . الا أن القضاة رثوا لحالها ورقت قلوبهم لفقرها واحتياجها فعادوا الى رأى هيكو فى وجوب العفو عنها وحكموا ببراءة ساحتها من ذلك الذنب الذى كان يعده قانونهم جريمة كبرى لاتقبل الغفران . وقد نال الكاتب الشهير بعد وفاته ما كان يصبو اليه فى حياته من رحمة المساكين والشفقة على الفقير وخرجت تلك المرأة البريئة وهى تدعو له دعاءً لو بلغ اليه لتحركت عظامه فى قبره . ولسر ذلك الفؤاد الكبير البالى باجابة ماطلبه فى أواسط عصره فلم ينله الا فى أواخر عصره . ولا بدع فان انشاء الكاتب روح تحيى بعد موته وعمر يبقى بعد عمره . فنم أيها الرجل العظيم فى قبرك مكفناً بجلال مجدك ونور عقلك وذكائك فان مصباح العدالة لايزال ينير من أعماق لحدك كما كان ينير من صميم فؤادك وان السهم الذى أصبت به كبد القانون فى كتابك قد نفذ اليوم الى قلوب قضاته فحكموا ببراءة من كنت أنت الآمر ببراءته من قبل . واذا فاتك سرور الحياة من إجابة

سؤلك فى تخفيف هذا الشقاء فلن يفوتك سرور الآخرة بما يتصاعد اليك من دعاء البائسين والاشقياء .

رد على رد

انبرى حقوقى فاضل فنشر مقالا بعنوان « لو كنت امرأة » قصد به الرد على مقالنا « لو كنت رجلا » . وحبذا لو سمح لي حضرة الكاتب الاديب بأبداء رأى عن مقاله ليس الغرض منه أن لا تفهم مراميه ووزن أفكاره بالقسطاس الصحيح حتى نصل الى الحقيقة فى أى جانب كانت ولاى جهة ترجحت .

***

ليس هذا المقال الا صوراً منتزعة من الحياة المنزلية المصرية وعلى قدر دقة النظر واحكام اليد المصورة تكون الصور أقرب الى الحقيقة وأدنى الى الفهم وأدعى الى التسليم بها فان نحن كنا للاصلاح من الناشدين ـ وهو مانخاله صحيحاً ـ فليس فى انكار الامر الواقع مايبلغ بنا تلك الغاية وليس فى المراوغة ما يكفل لنا أن نقبض على الحقيقة .

***

لقد كال الاديب الفاضل للرجل صفات لو تمنا قليلا لوجدناها نعوتاً عذبة قد ألصقها برجل غير الرجل المصرى . . ! !

فاذا نحن تناهينا فى حسن الظن فلنا أن نحمل ذلك الوصف الجميل على محمل الاصلاح فان للاصلاح طرقاً متشعبة ووسائل متعرجة فهو قد تناول قلمه ورسم صورة الرجل لا كما يراه ولكن كما ينبغى أن يراه .